إسرائيل ومسعى عدم استقرار المنطقة (مصر، العراق، سوريا)

بسمة عبد المحسن سعيد*

أكاديمية وباحثة من العراق

* وحدة البحوث والدراسات ـ مركز حمورابي

مقدمة

صاغت إسرائيل نظريتها الأمنية التي اقامتها على (ذريعة الحرب)، أي تحويل أي عمل عربي تراه إسرائيل خطراً على أمنها، إلى ذريعة لإشعال فتيل الحرب، عادة ذلك خرقاً لحال قائمة، وهي تبادر من ثم إلى شن هجمات وقائية ومسبقة، ثم تتحول فوراً إلى نقل الحرب إلى أرض العدو، لتحقيق الحسم السريع بواسطة (تدمير العدو)، واحتلال أراضيه، والاستفادة من مزية العمل على (خطوط داخلية ضد عدو) يعمل على خطوط خارجية، وإنهاء الحرب بصورة سريعة، قبل أن تتدخل الدول الكبرى لفرض وقف إطلاق النار[1].

تنطلق نظرية الأمن الإسرائيلي دائماً من فرضيتين: **الأولى** أن الدولة تواجه خطراً يهدد وجودها من جانب الدول العربية، **والثانية** أنه لا يوجد لدولة إسرائيل حلفاء مخلصون تستطيع الاستعانة بهم لمواجهة هذا الخطر[2] وهناك أهداف قومية عدة تسعى إسرائيل إلى تحقيقها[3]:

1 ـ تجزئة الدول العربية وبلقنة الوطن العربي.

2 ـ تمكين الدولة اليهودية النقية من التكامل.

3 ـ تحويل إسرائيل إلى قلعة صناعية ودولة خدمات سياحية.

4 ـ ربط الاقتصاد العربي بالاقتصاد الإسرائيلي من منطلق السيطرة ومبدأ التبعية.

(1) مجدي حماد: السلام الإسرائيلي استراتيجية الهيمنة، ط1، (بيروت، باحث للدراسات، 2011)، ص430.

(2) المصدر السابق، ص431.

(3) عبد الوهاب المسيري: نظرية الامن الصهيونية، (جنين، مركز المرشد للدراسات والابحاث، 2012)، ص2.

5 ـ تحويل القدس إلى عاصمة عالمية مصرفية وصناعية.

6 ـ تجزئة دول المنطقة غير العربية.

7 ـ إن إسرائيل تواجه مجموعة من المخاطر التي لا يجوز الاستهانة بها، وهي لن تقف صامتة بإزاء تلك المخاطر.

أسهمت الثورات العربية بانكفاء العالم العربي في شؤونه الداخلية، على حين استمرت إسرائيل في اتباع سياسات إدارة الصراع وليس حله، وتهدف سياسة إدارة الصراع الإسرائيلية إلى فرض حقائق على الأرض تحسن من وضعية إسرائيل التفاوضية، وترمي كذلك إلى إبقاء الوضع القائم حتى تسنح الفرصة السياسية لإسرائيل لفرض حل يناسبها[4].

(4) يسرى العزباوي: (إسرائيل) والمتغيرات في المنطقة العربية: التوظيف والتحريك، مجلة حمورابي، العدد الثامن، 2013، ص29.

فمصر وحدها تستطيع، إذا قدرت لها القيادة الصالحة على تعبئة القدرات والاستخدام الأمثل للإمكانيات، أن تحجم إسرائيل

وعلى الرغم من أن مصر هي الدولة الوحيدة في المنطقة، التي ظلت ستة آلاف عام تمثل تماسكاً قومياً ثابتاً، فإسرائيل تعلم أن المخاطر التي يتعرض لها الكيان الصهيوني، إن ظلت مصر في تماسكها أولاً، وفي تضخمها الديموغرافي ثانياً، وفي تقدمها التكنولوجي ثالثاً هي مخاطر قاتلة، فمصر وحدها تستطيع، إذا قدرت لها القيادة الصالحة على تعبئة القدرات والاستخدام الأمثل للإمكانيات، أن تحجم إسرائيل، وهي لذلك أكثر إلحاحاً في تطبيق مفهومها للتجزئة على مصر[5].

(5) عبد الوهاب المسيري: المصدر السابق.

وترى إسرائيل أن عزل مصر عزلاً كاملاً عن المشرق والخليج العربي، من النواحي الاقتصادية والأمنية، وإبقاء علاقاتها السياسية والثقافية بحدها الأدنى في السودان وليبيا، "وإذا ما تجزأت مصر، فإن بلاداً مثل ليبيا والسودان بل حتى الدول الأكثر بعداً عنها، لن يكتب لها البقاء على صورتها الحالية وستلحق بمصر عند سقوطها وانحلالها[6]:

(6) دينا محمد جبر الربيعي: البعد المستقبلي في التخطيط الاستراتيجي (الإسرائيلي)، اطروحة دكتوراه غير منشورة، (جامعة النهرين، كلية العلوم السياسية، 2006)، ص186.

ويذكر أنشيل فيفار المحلل السياسي لصحيفة «هاآرتس» كبرى الصحف الاسرائيلية أنه: «يصعب عدم التقاط موجات الرضا في إسرائيل، ومرسي بالتأكيد ليس محباً لإسرائيل، ولكن العام الذي شغل فيه منصب الرئيس في مصر لم يضر بالعلاقات الإسرائيلية ـ المصرية، بل على العكس»[7]، أن السنة التي قضاها مرسي في الحكم لم تكن سيئة من الناحية الإسرائيلية، فقد حافظ على اتفاق السلام وعلى التعاون الأمني مع إسرائيل، واتخذت حكومة

(7) هيام سليمان: إسرائيل تبكى على «الإخوان» .. وتشتاق إلى «مرسى»، صحيفة الوفد المصرية، الخميس 25/ 7/ 2013.

الإخوان خطوات صارمة في أكثر من مناسبة في مواجهة الارهاب في سيناء،[8] وعدد فيفار الأسباب التي تجعل إسرائيل حزينة على مرسي بل تشتاق اليه[9]:

السنة التي قضاها مرسي في الحكم لم تكن سيئة من الناحية الإسرائيلية، فقد حافظ على اتفاق السلام وعلى التعاون الأمني مع إسرائيل

السبب الأول: أنه بقيادة مرسي قام الإخوان المسلمون بالتصديق على اتفاق كامب ديفيد، وهو الأمر الذى لا يصدق من إسرائيل، ومع أنهم تحدثوا عن إمكانية تغيير الاتفاق، فإنهم عملياً نفذوه، بالضبط مثلما فعل نظام مبارك من قبلهم،

(8) عصام نعمان: هكذا تفاضل (اسرائيل) بين العسكر و(الاخوان)، صحيفة القدس، العدد 6468، 25/ 8/ 2013.

(9) هيام سليمان: المصدر السابق.

السبب الثاني: عدم منع مرسي إسرائيل من شن حملة (**عمود السحاب**)، الضربة الشديدة لقيادة حماس وإحلال وقف اطلاق النار بشكل سريع، الأمر الذى احترمته حماس في النصف سنة الأخيرة بحرص.

السبب الثالث: إرسال الجيش لحملات مركزة ضد عناصر القاعدة ممن سيطروا على مناطق واسعة في شبه الجزيرة وما لا يقل أهمية بالنسبة إلى إسرائيل، ونفذت حملات واسعة لهدم إنفاق التهريب الأمر الذى لم يقم به مبارك .

السبب الرابع: من وجهة نظر إسرائيل أن مرسي قد أبطل مخاوف تل أبيب من أن يتحقق تقارب بين إيران ومصر في أعقاب صعود الإخوان المسلمين إلى الحكم.

إذ اتسعت الفجوات بين مصر وإيران تحت حكم مرسي، وهو ما يصب في مصلحة اسرائيل، لأن كل احتمال للتعاون بين القوتين العظميين في المنطقة ليس وارداً، مادام الاخوان في الحكم، وبحسب يوسي نيشر محرر الشؤون الشرق أوسطية، بالإذاعة الإسرائيلية، فإن نظام الرئيس المعزول محمد مرسي منح (شرعية إخوانية ضمنية) لاتفاقية كامب ديفيد، وأن عهد مرسي وخلافًا للتوقعات المتشائمة التي سبقت ثورة 25 يناير، لم يشهد انهيار العلاقات بين القاهرة وإسرائيل.

اتسعت الفجوات بين مصر وإيران تحت حكم مرسي، وهو ما يصب في مصلحة اسرائيل

وأكد الفريق حسام خير الله وكيل أول المخابرات العامة لرئاسة الجمهورية، المرشح المحتمل لانتخابات الرئاسة، أن هناك قوى إقليمية ودولية تسعى إلى زعزعة استقرار مصر، بهدف إضعافها بأيدى أبنائها، عن طريق ضخ ملايين

إن دولة مثل إسرائيل من مصلحتها عدم استقرار مصر سياسياً واقتصادياً وأمنياً

الدولارات، لإثارة الفوضى والتحريض على الإضراب والعصيان المدني، مؤكداً أن تلك الدعوات تمثل دعوة للتخريب وليس البناء، وقال خير الله في مؤتمر جماهيري بمدينة أطسا بالفيوم، إن دولة مثل إسرائيل من مصلحتها عدم استقرار مصر سياسياً واقتصادياً وأمنياً، وأن تكون تابعة لها، وأن يتراجع دورها في عملية السلام، وأن لا تمارس ضغوطها على تل أبيب، لتنفيذ قرارات الأمم المتحدة التي تدعو إلى انسحاب إسرائيل من الأراضي الفلسطينية المحتلة وإعلان الدولة الفلسطينية المستقلة[10].

(10) حسام خير الله قوى إقليمية ودولية تسعى لزعزعة الاستقرار في مصر، صحيفة اليوم السابع، الاثنين 13/ فبراير/ 2012.

أما **العراق** فإنه يمثل بسبب الثروة النفطية مصدر تهديد لإسرائيل، ولذا يمكن تمزيقه إلى أجزاء تتمحور حول المدن الكبرى، دولة شيعية في الجنوب حول البصرة، ودولة سنية حول بغداد، ودولة كردية حول الموصل[11].

(11) عبد الوهاب المسيري: المصدر السابق، ص4.

وإسرائيل لم تكن بعيدة عن التطورات التي حدثت في العراق عام 2003، وكان هدفها الاستراتيجي ومازال عدم السماح للعراق أن يعود إلى ممارسة دور عربي وإقليمي، لأن إسرائيل ستكون أول المتضررين، وسيظل الصراع على هذه الساحة فاعلاً طالما بقيت القوات الأميركية، والتي توفر لإسرائيل مظلة وفرصة لكي تحبط أية سياقات لعودة العراق الى سابق قوته ووحدته، وأن إسرائيل تستخدم كل الوسائل غير المرئية على الصعيد السياسي والأمني، وتريد أن تخلق ضمانات وكوابح ليس في شمال العراق بل في العاصمة بغداد، وأن إسرائيل تحاول أن تنسج علاقات مع بعض النخب السياسية والاقتصادية، حتى تبقى بالنسبة إلى إسرائيل ضمانة لبقاء العراق خارج دائرة الدول العربية، التي هي في حالة حرب مع اسرائيل[12].

إسرائيل تستخدم كل الوسائل غير المرئية على الصعيد السياسي والأمني، وتريد أن تخلق ضمانات وكوابح ليس في شمال العراق بل في العاصمة بغداد

(12) اسرائيل تعترف بسعيها «لتقسيم» العراق ودعم الاكراد بالسلاح من اجل تأسيس دولة كردية، موقع افكار حرة، شبكة المعلومات الدولية (الانترنيت)، عبر الرابط: http://afkarhura.com

فما يحدث في العراق الآن هو جزء من خطة صهيونية واسعة بتنفيذ أميركي، فالمحاولات الرامية إلى إشعال الحرب الطائفية وتأجيج الفتنة بين العراقيين، تصب في إطار الاستراتيجية (الإسرائيلية) المستقبلية، وتقسيم العراق إلى فيدراليات أو اقاليم غاية عليا في الفكر (الإسرائيلي)، لتسهيل السيطرة على موارد العراق الاقتصادية الهائلة غير المستغلة، وتشكيل أسس جديدة للتعامل المحلي والإقليمي والدولي، ليؤدي ذلك إلى إنشاء علاقات مع أعداء

سابقين ومنهم (إسرائيل)، وإحكام السيطرة بدعم أميركي على بلد شكل دائماً عنصر تهديد مستقبلي في المنظور (الإسرائيلي)[13].

(13) دينا محمد جبر الربيعي، المصدر السابق.

أما **سوريا** فيذهب التصور الإسرائيلي إلى تقسيمها لمناطق عرقية أو دينية خالصة، فتقسم سوريا إلى دولة شيعية علوية على طول الساحل السوري، ودولة سنية في حلب، ودولة سنية معادية لها في دمشق، ودولة درزية في حوران والجولان[14].

(14) عبد الوهاب المسيري: المصدر السابق، ص4.

وتهم الرئيس السوري بشار الأسد إسرائيل بالعمل على زعزعة الاستقرار في بلاده والسعي لإضعافها، وأكد الأسد عند لقائه مع أمين المجلس الأعلى للأمن القومي الإيراني سعيد جليلي، سعي إسرائيل إلى زعزعة استقرار سوريا وإضعافها، وصولاً إلى التخلي عن مواقفها وثوابتها الوطنية والقومية[15].

(15) الأسد: يتهم إسرائيل بزعزعة استقرار سوريا وإضعافها، صحيفة المصري اليوم، الاحد 3/2/2013.

وأوضحت صحيفة (برافدا) الروسية في نشرتها باللغة الإنجليزية: أن وسائل الإعلام الأميركية والإسرائيلية ركزت على فكرة نشر الديمقراطية وإنهاء الديكتاتورية، وضرورة تدخل المجتمع الدولي من منطلق المسؤولية لحماية المدنيين، ومنع حدوث كارثة إنسانية في سوريا، غير أن الهدف من ذلك كان صرف انتباه الرأي العام العالمي، عن الهدف الأميركي الإسرائيلي الحقيقي المتلخص في حماية أمن إسرائيل»، وأضافت الصحيفة أن المرحلة الأولى من الخطة كانت تقتضي تغيير النظام السوري، والاستعاضة عنه بنظام أقل تهديداً لتل أبيب، وأكثر رغبة في إبرام اتفاق سلام معها، وحال فشل ذلك تأتي المرحلة الثانية من الخطة، وهي التي تجرى الآن، وتتمثل في نزع أسلحة سوريا الكيماوية وحرمانها من قدرة ردع قوية ضد الأسلحة النووية والكيماوية والبيولوجية وأسلحة الدمار الشامل الإسرائيلية، مشيرة إلى أن المرحلة الأولى من الخطة فشلت ويجرى تنفيذ المرحلة الثانية الآن[16].

أن وسائل الإعلام الأميركية والإسرائيلية ركزت على فكرة نشر الديمقراطية وإنهاء الديكتاتورية

(16) صحيفة روسية: إسرائيل العامل الخفي في سوريا، صحيفة المصريون، الإثنين 14/ أكتوبر/ 2013.